

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ من اليهود والنصارى ، وقيل : من نصارى نجران ﴿إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ أى بالخصلة التى هى أحسن كمقابلة الخشونة باللين ، والغضب بالكظم ، والمشغبة بالنصح ، والسورة بالإناء كما قال سبحانه : (ادفع بالتي هى أحسن) ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ بالافراد فى الاعتداء والعناد ، ولم يقبلوا النصح ، ولم ينفع فيهم الرفق فاستعملوا معهم الغلظة •

وأخرج ابن جرير عن مجاهد أن الذين ظلموا هم الذين أثبتوا الولد والشريك أو قالوا يدالله تعالى مغلولة ، أو الله سبحانه فقير ، أو أذوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهذه الغلظة التى تفهم الآية الاذن بها لاتصل إلى القتال لأولئك الظالمين من أهل الكتاب على أى وجه من الوجوه المذكورة كان ظلمهم لأن ظاهر كون السورة مكية أن هذه الآية مكية ، والقتال فى المشهور لم يشرع بمكة وليست الغلظة محصورة فيه كما لا يخفى ، وقيل : المامنى ولا تجادلوا الداخلين فى الذمة المؤدين للجزية إلا بالتي هى أحسن إلا الذين ظلموا فنبذوا الذمة ومنعوا الجزية فإن أولئك مجادلهم بالسيف •

وأخرج ابن جرير . وابن المنذر . وابن أبي حاتم عن مجاهد ما يقرب منه ، وتعقب بأن السورة مكية والحرب والجزية مما شرع بالمدينة ، وكون الآية بيانا لحكم آت بعد بعيد وأيضا لاقرينة على التخصيص • وقيل : يجوز أن يكون القائل بذلك ذاهبا إلى أن الآية مدنية ومكية السورة باعتبار أغلب آياتها ، أو بمن يقول : بأن الحرب شرع بمكة فى آخر الأمر ، والسورة آخر ما نزل بها إلا أنه لم يقع وعدم الوقوع لا يدل على عدم المشروعية •

وعن ابن زيد أن المراد بأهل الكتاب مؤمنو أهل الكتاب وبالتى هى أحسن موافقتهم فيما حدثوا به من أخبار أوائلهم وبالذين ظلموا من بقى منهم على كفره وهو كما ترى ، واختلف فى نسخ الآية . فأخرج أبو داود فى ناسخه . وابن جرير . وابن المنذر . وابن أبي حاتم . وابن الأنبارى فى المصاحف عن قتادة أنه قال : نهى فى هذه الآية عن مجادلة أهل الكتاب ، ثم نسخ ذلك فقال سبحانه : (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر) الآية ولا مجادلة أشد من السيف ، وقال فى مجمع البيان : الصحيح أنها غير منسوخة لأن المراد بالجدال المناظرة وذلك على الوجه الأحسن هو الواجب الذى لا يجوز غيره •

وقال بعض الأجلة : إن المجادلة بالحسنى فى أوائل الدعوة لأنها تتقدم القتال فلا يلزم النسخ ولا عدم القتال بالسكينة ، وأما كون النهى يدل على عموم الأزمان فيلزم النسخ فلا يتم ما ذكر فيدفعه أن من يقاثل كانع الجزية داخل فى المستثنى فلا نسخ وإنما هو تخصيص بمتصل ، وكون ذلك يقتضى مشروعية القتال بمكة ليس بصحيح لأنه مسكوت عنه فتأمل •

وقرأ ابن عباس (ألا بالتي) الخ، على أن (الا) حرف تنبيه واستفتاح، والتقدير ألا جادلوهم بالتي هي أحسن ﴿وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا﴾ من القرآن ﴿و﴾ الذي ﴿أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ﴾ أى بالذي أنزل إليكم من التوراة والإنجيل، وهذا القول نوع من المجادلة بالتي هي أحسن، وعن سفيان بن حسين أنه قال: هذه مجادلتهم بالتي هي أحسن، وأخرج البخارى. والنسائى. وغيرهما عن أنس بن مالك قال: كان أهل الكتاب يقرؤون الكتاب بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: «لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم» الآية، والتصديق والتكذيب ليسا بقيضين فيجوز ارتفاعهما ﴿وَالْهَنَاءُ وَالْحُكْمُ وَاحِدٌ﴾ لا شريك له فى الألوهية ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ أى مطيعون خاصة بما يؤذن بذلك تقديم (له)، وفيه تعريض باتحادهم أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله تعالى *

﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ تجريد للخطاب لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، وذلك إشارة الى مصدر الفعل الذى بعده، وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلة المشار اليه فى الفضل أى مثل ذلك الانزال البديع الشأن الموافق لانزال سائر الكتب أنزلنا إليك القرآن الذى من جملته هذه الآية الناطقة بما ذكر من المجادلة بالتي هي أحسن، وقيل: الإشارة الى ما تقدم لذكر الكتاب وأهله أى وبما أنزلنا الكتب الى من قبلك أنزلنا إليك الكتاب *

﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا هُمُ الْكِتَابُ﴾ من الطائفتين اليهود والنصارى على أن المراد بالكتاب جنسه الشامل للتوراة والإنجيل والكلام على ظاهره، وقيل: هو على حذف مضاف أى آتيناهم علم الكتاب ﴿يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ بالكتاب الذى أنزل إليك، وقيل: الضمير له صلى الله تعالى عليه وسلم وهو كما ترى، والمراد بهم فى قول من تقدم عهد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من أولئك حيث كانوا مصدقين بنزول القرآن حسبا علموا بما عندهم من الكتاب، والمضارع لاستحصار تلك الصورة فى الحكاية وتخصيصهم بايتاء الكتاب للايذان بأن ما بعدهم من معاصرى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قد نزع عنهم الكتاب بالنسخ، وفى قول آخر معاصروه عليه الصلاة والسلام العاملون بكتابتهم من عبد الله بن سلام وأضرابه، وتخصيصهم بايتاء الكتاب لما أنهم هم المنتفعون به فكان من عداهم لم يؤتوه، قيل: هذا يؤيد القول: بأن الآيات المذكورة مدنية اذ كونها مسكية وعبد الله من أسلم بعد الهجرة بناء على انه اعلام من الله تعالى باسلامهم فى المستقبل، والتفصيل باعتبار الاعلام بعيد جدا، وجوز الطبرسى أن يراد بالموصول المسلمون من هذه الأمة وضمير (به) للقرآن، ولا يخفى ما فيه، ولعل الاظهر كون المراد به علماء أهل الكتابين الحريون بأن ينسب اليهم ايتاء الكتاب كعبد الله بن سلام. وأضرابه، ولا بعد فى كون الآيات مسكية بناء على ما سمعت، والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان ايمانهم به مترتب على انزاله على الوجه المذكور ﴿وَمَنْ هَؤُلَاءِ﴾ أى ومن العرب أو من أهل مكة على أن المراد بالموصول عبد الله. وأضرابه، أو ممن فى عصره صلى الله تعالى عليه وسلم من اليهود والنصارى على أن المراد به من تقدم ﴿مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ﴾ أى بالكتاب الذى أنزل إليك، (ومن) على ما استظهره بعضهم تبعيضية واقعة موقع المبتدأ وله نظائر فى الكتاب الكريم ﴿وَمَا يَجْعَلُ بَابَاتِنَا﴾ أى (وما يمجحد) به، وأقيم هذا الظاهر مقام الضمير للتنبيه على ظهور دلالة الكتاب على

ما فيه وكونه من عند الله عز وجل، والاضافة الى نون العظمة لمزيد التفعيم . وفيما ذكر غاية التشنيع على من يجحد به .
والجحد كما قال الراغب : نفى ما في القلب ثباته واثبات ما في القلب نفيه ، وفسر هنا بالانكار عن علم
فكانه قيل : وما ينكر آياتنا مع العلم بها ﴿إِلَّا الْكَافِرُونَ ٤٧﴾ أي المتوغلون في الكفر المصممون عليه فان ذلك
يمعنهم عن الاقرار والتسليم ، وقيل : يجوز أن يفسر بمطلق الانكار ، ويراد بالكافرين المتوغلون في الكفر
أيضا لدلالة حوى الكلام ، والتعبير بآياتنا على ذلك أي وما ينكر آياتنا مع ظهورها وارتفاع شأنها الا المتوغلون
في الكفر لأن ذلك يصدم عن الاعتناء بها والالتفات اليها والتأمل فيما يؤديهم الى معرفة حقيقتها ، والمراد
بهم من اتصف بتلك الصفة من غير قصد الى معين ، وقيل : هم كعب بن الأشرف . واصحابه •
﴿وَمَا كُنْتُمْ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ﴾ أي وما كنتم من قبل انزلنا اليك الكتاب تقدر على ان تتلوا ﴿مِنْ كِتَابٍ﴾
أي كتابا على أن (من) صلة ﴿وَلَا تَخْطُهُ﴾ ولا تقدر على أن تخطه ﴿يَمِينِكَ﴾ أو ما كانت عادتلك أن
تتلوه ولا تخطه ، وذكر اليمين زيادة تصوير لما نفى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم من الخط فهو مثل العين في قولك :
نظرت بعيني في تحقيق الحقيقة وتأكيدها حتى لا يبقى للجهاز مجاز ﴿إِذَا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ ٤٨﴾ أي لو كنت
من يقدر على التلاوة والخط أو من يعتادهما لارتاب مشركو مكة وقالوا : لعله النقطة من كتب الاوائل ،
وحيث لم تكن كذلك لم يكن لارتياهم وجه ، وكان احتمال التعلم ما لم يلتفت اليه لظهور أن مثله من
الكتاب المفصل الطويل لا يتلقى ويتعلم الا في زمان طويل بمدارسة لا يخفى مثلها ، ووصف مشركي مكة
بالابطال باعتبار ارتياهم وكفرهم وهو عليه الصلاة والسلام أمي فكانه قيل : اذن لارتاب هؤلاء المبطلون
الآن وكان إذ ذاك لارتياهم وجه ، وقيل : وصفهم بذلك باعتبار ارتياهم ، وهو صلى الله تعالى عليه وسلم
أمي وباعتبار ارتياهم وهو عليه الصلاة والسلام ليس بأمي أما كونهم مبطلين بالاعتبار الاول فظاهر ، وأما
كونهم كذلك بالاعتبار الثاني فلا ن غاية ما يلزم من عدم أميته ﷺ انتفاء أحد وجوه الاعجاز ، ويكفي
الباقى في الغرض فيكون المرتاب مبطلا كالمرتاب في نبوة الانبياء الذين لم يكونوا أميين وصحة ما جاؤا به •
والاول اظهر ، وكون المراد بالمبطلين مشركي مكة هو المروى عن مجاهد ، وقال قتادة : هم أهل الكتاب
أي لو كنت تتلو من قبل أو تخط لارتاب أهل الكتاب لأن نعتك في كتابهم أمي ، ووصفهم بالابطال قيل :
باعتبار ارتياهم وهو عليه الصلاة والسلام أمي كما هو الواقع ، والا فهم ليسوا بمبطلين في ارتياهم على فرض
عدم كونه صلى الله تعالى عليه وسلم أميا ، وفي الكشف هذا فرض وتمثيل دلالة على أن مدار الامر
على المعجز ، وان كونه عليه الصلاة والسلام أميا لا يخط ليس مما لا يتم دعواه به ، وتلك الدلالة
لا تختلف والمنكر مبطل اهتأمل •

هذا واختلف في أنه صلى الله تعالى عليه وسلم هل كان بعد النبوة يقرأ ويكتب أم لا ؟ فقيل : إنه
عليه الصلاة والسلام لم يكن يحسن الكتابة واختاره البغوى في التهذيب وقال : إنه الاصح ، وادعى بعضهم
أنه صلى الله تعالى عليه وسلم صار يعلم الكتابة بعد أن كان لا يعلمها وعدم معرفتها بسبب المعجزة لهذه الآية .
فلما نزل القرآن واشتهر الاسلام وظهر امر الارتياح تعرف الكتابة حينئذ ، وروى ابن أبي شيبة . وغيره

« ما ملكت صلي الله تعالى عليه وسلم حتى كتب وقرأ » •
ونقل هذا للشعبي فصدقه وقال : سمعت أقواما يقولونه وليس في الآية ما ينافيه ، وروى ابن ماجه عن أنس قال : « قال صلي الله تعالى عليه وسلم : رأيت ليلة أسرى بي مكتوبا على باب الجنة الصدقة بعشر أمثالها والقرض بثمانية عشر » والقدرة على القراءة فرع الكتابة ورد باحتمال اقدار الله تعالى اياه عليه الصلاة والسلام عليها بدونها معجزة أوفيه مقدر وهو فسألت عن المكتوب فقيل : الخ ، ويشهد للكتابة أحاديث في صحيح البخاري . وغيره كما ورد في صلح الحديبيه فأخذ رسول الله صلي الله تعالى عليه وسلم الكتاب وليس يحسن يكتب فكاتب هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله الحديث ، ومن ذهب الى ذلك أبو ذر عبد بن أحمد الهروي . وأبو الفتح النيسابوري . وأبو الوليد الباجي من المغاربة ، وحكاه عن السمناني ، وصنف فيه كتابا ، وسبقه اليه ابن منية ، ولما قال أبو الوليد ذلك طعن فيه ورمى بالزندقة وسب على المنابر ثم عقد له مجلس فأقام الحجة على مدعاه وكتب به إلى علماء الاطراف فأجابوا بما يوافقه ، ومعرفة الكتابة بعد أميته ﷺ لا تنافي المعجزة بل هي معجزة أخرى لكونها من غير تعليم ، ورد بعض الأجلة كتاب الباجي لما في الحديث الصحيح - إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب - ، وقال : كل ما ورد في الحديث من قوله : كتب فمعناه أمر بالكتابة كما يقال : كتب السلطان بكذا لفلان ، وتقديم قوله تعالى : (من قبله) على قوله سبحانه : (ولا تخطئه) كالصريح في أنه عليه الصلاة والسلام لم يكتب مطلقا وكون القيد المتوسط راجعا لما بعده غيره طرد ، وظن بعض الأجلة رجوعه الى ما قبله وما بعده فقال : يفهم من ذلك أنه عليه الصلاة والسلام كان قادرا على التلاوة والخط بعد إنزال الكتاب ولولا هذا الاعتبار لكان الكلام خلوا عن الفائدة ، وأنت تعلم أنه لو سلم ما ذكره من الرجوع لا يتم أمر الافادة الا إذ قيل بحجية المفهوم والظان ممن لا يقول بحجتيه ، ولا يخفى أن قوله عليه الصلاة والسلام : « انا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب » ليس نصا في استمرار نفي الكتابة عنه عليه الصلاة والسلام ، ولعل ذلك باعتبار أنه بعث عليه الصلاة والسلام وهو وكذا أكثر من بعث اليهم وهو بين ظهرانيهم من العرب أميون لا يكتبون ولا يحسبون فلا يضر عدم بقاء وصف الامية في الاكثر بعد ، وأما ما ذكر من تأويل كتب بأمر بالكتابة فخلافا للظاهر ، وفي شرح صحيح مسلم للنووي عليه الرحمة نقلا عن القاضي عياض أن قوله في الرواية التي ذكرناها : ولا يحسن يكتب فكاتب كالتص في أنه صلي الله تعالى عليه وسلم كتب بنفسه فالدول عنه الى غيره مجاز لا ضرورة اليه ثم قال : وقد طال كلام كل فرقة في هذه المسئلة وشنعت كل فرقة على الأخرى في هذا فالحق تعالى أعلم •

ورأيت في بعض الكتب ولا أدري الآن أي كتاب هو أنه صلي الله تعالى عليه وسلم لم يكن يقرأ ما يكتب لكن اذا نظر الى المكتوب عرف ما فيه باخبار الحروف اياه عليه الصلاة والسلام عن أسمائها فكل حرف يخبره عن نفسه أنه حرف كذا وذلك نظير اخبار الذراع اياه صلي الله تعالى عليه وسلم بأنها مسمومة • وأنت تعلم أن مثل هذا لا يقبل بدون خبر صحيح ولم أظفر به (بل هو) أي القرآن ، وهذا اضراب عن ارتياهم ، أي ليس القرآن بما يرتاب فيه لوضوح أمره بل هو (مآيات بينات) واضحات ثابتة راسخة (في صدور الذين أوتوا العلم) من غير أن يلتقط من كتاب يحفظونه بحيث لا يقدر على تحريفه بخلاف

غيره من الكتب ، وجاء في وصف هذه الأمة صدورهم أناجيلهم ، وكون ضمير هو للقرآن هو الظاهر ، ويؤيده قراءة عبد الله (بل هي آيات بينات) ، وقال قتادة : الضمير للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقرأ (بل هو آية بينة) على التوحيد ، وجعله بعضهم له عليه الصلاة والسلام على قراءة الجمع على معنى بل النبي وأموره آيات ، وقيل : الضمير لما يفهم من النبي السابق أى كونه لا يقرأ بخط آيات بينات في صدور العلماء من أهل الكتاب لأن ذلك نعت النبي عليه الصلاة والسلام في كتابهم ، والكل كما ترى ، وفي الأخير حمل (الذين أوتوا العلم) على علماء أهل الكتاب وهو مروي عن الضحاك . والاكثرون على أنهم علماء الصحابة أو النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وعلماء أصحابه ، وروى هذا عن الحسن . وروى بعض الامامية عن أبي جعفر . وأبى عبد الله رضى الله تعالى عنهما أنهم الاثمة من آل محمد ﷺ (وَمَا يَجِدُ بآيَاتِنَا) مع كونها كما ذكر (إِلَّا الظَّالِمُونَ ٤٩) المتجاوزون للحد في الشر والمكابرة والفساد (وَقَالُوا) أى كفار قريش بتعاليم بعض أهل الكتاب . وقيل : الضمير لأهل الكتاب (لَوْلَا أَنْزَلْ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ) مثل ناقة صالح وعصا موسى ، وقرأ أكثر أهل الكوفة (ماية) على التوحيد (قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ) ينزلها حسبما يشاء من غير دخل لأحد في ذلك قطعا (وَأِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ٥٠) ليس من شأنى إلا الانذار بما أوتيت من الآيات لا الاتيان بما افترحموه فالقصر قصر قلب (أَوْ لَمْ يَكْفِهِمْ) كلام مستأنف وارد من جهته تعالى ردا على اقتراحهم وبياناً لبطالانه والهمزة للانكار والنفي والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام أى أقصر ولم يكفهم ماية هغنية عن سائر الآيات (أَنَا أَنْزَلْنَاهَا) (عَلَيْكَ الْكِتَابَ) الناطق بالحق المصدق لما بين يديه من الكتب السماوية وأنت بمعزل من مدارسها وممارستها (يَتْلَى عَلَيْهِمْ) تدوم تلاوته عليهم متحدنين به فلا يزال معهم ماية ثابتة لا تزول ولا تضمحل كما تزول كل ماية بعد كونها ، وقيل : (يتلى عليهم) أى أهل الكتاب بتحقيق ما فى أيديهم من نعتك ونعت دينك ، وله وجه ان كان ضمير قالوا فيما تقدم لأهل الكتاب وأما اذا كان لكفار قريش فلا يخفى ما فيه (إِنَّ فِي ذَلِكَ) أى الكتاب العظيم الشأن الباقي على عمر الدهور ، وقيل : الذى هو حجة بينة (لرَحْمَةٍ) أى نعمة عظيمة (وَذَكْرَى) أى تذكرة (لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ٥١) أى همهم الايمان لا التعتنت فالجار والمجرور متعلق بذكرى والفعل مراد به الاستقبال ، ويجوز أن يكون (رحمة وذكرى) مما تنازعا في الجار والمجرور فيجوز أن يكون الفعل للحال ، وأخرج الفريابي . والدارمي . وأبو داود في مراسيله . وابن جرير . وابن المنذر . وابن أبي حاتم ، عن يحيى بن جعدة قال : « جاء ناس من المسلمين بكتف قد كتبوا فيها بعض ما سمعوه من اليهود فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : كفى بقوم حمقا أو ضلالة أن يرغبوا عما جاء به نبيهم اليهم الى ما جاء به غيره الى غيرهم فنزلت (أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب) الآية » وأخرج الاسماعيلى في معجمه . وابن مردويه عن يحيى هذا ما هو قريب مما ذكر مرويا عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه * (يؤمنون) على هذا على ظاهره لا غير ، وتعقب بأن السياق والسباق مع الكفرة وان الظاهر كون (أولم يكفهم) الآية جوابا لقولهم : (لولا أنزل) الخ ، وفي جعل سبب النزول ما ذكر خروج عن ذلك فتأمل *

وعليه تكون الآية دليلا لمن منع تتبع التوراة ونحوها . وروى هذا المنع عن عائشة رضي الله تعالى عنها *
 أخرج ابن عساکر عن أبي مايكة قال : أهدى عبد الله بن عامر بن ركن الى عائشة رضي الله تعالى عنها هدية
 فظنت أنه عبد الله بن عمرو فردتها وقالت : يتبع الكتاب وقد قال الله تعالى : (أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك
 الكتاب يتلى عليهم) فقبل لها : انه عبد الله بن عامر فقبلتها ، وجاء في عدة أخبار ما يقتضي المنع ، أخرج
 عبد الرزاق في المصنف . والبيهقي في شعب الايمان ، عن الزهري أن حفصة جاءت الى النبي صلى الله تعالى عليه
 وسلم بكتاب من قصص يوسف في كتف فجعلت تقرأه عليه والنبي عليه الصلاة والسلام يتلون وجهه فقال :
 والذي نفسي بيده لو أتاكم يوسف وأنا بينكم فاتبعتموه وتركتموني ضللت أنا حظكم من النبين وأتم حظي من الامم *
 وأخرج عبد الرزاق . والبيهقي أيضا عن أبي قلابة « أن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه مر برجل يقرأ
 كتابا فاستمع له ساعة فاستحسنه فقال للرجل : اكتب لي من هذا الكتاب قال : نعم فاشترى أدبما فيه ثم
 جاء به اليه ففسخ له في ظهره وبطنه ثم أتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فجعل يقرأه عليه وجعل وجه رسول
 الله ﷺ يتلون فضرب رجل من الانصار الكتاب وقال : ثكلتك أمك يا ابن الخطاب ألا ترى وجه
 رسول الله ﷺ منذ اليوم وانت تقرأ عليه هذا الكتاب فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عند ذلك : انما
 بعثت فاتحا وخاتما وأعطيت جوامع الكلم وخواتمه واختصر لي الحديث اختصارا فلا يهلككم المتوكون »
 أي الواقعون في كل أمر بغير روية ، وقيل : المتحيرون الى ذلك من الاخبار ، وحقق بعضهم أن المنع انما
 هو عند خوف فساد في الدين وذلك مما لا شبهة فيه في صدر الاسلام ، وعليه تحمل الاخبار ، وقد تقدم
 الكلام في ذلك فتذكر *

(قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا) أي عالما بما صدر عني من التبليغ والانذار وبما صدر عنكم من
 مقابلي بالتكذيب والانكار فيجازي سبحانه كلا بما يليق به (يعلم ما في السموات والأرض) أي من
 الامور التي من جلستها شأني وشأنكم فهو تقرير لما قبله من كفايته تعالى شهيدا ، وجوز أن يكون المعنى
 كفى به عز وجل شاهدا بصدق أي مصدقا لي فيما ادعيت به بالمعجزات تصديق الشاهد لدعوى المدعى ، وجملة
 (يعلم) إما صفة (شهيدا) أو حال أو استئناف لتعليل كفايته ، وقيل عليه : إن هذا الوجه لا يلائمه قوله تعالى :
 (بيني وبينكم) سواء تعلق بكفى أو بشهيدا ولا قوله سبحانه : (يعلم ما في السموات) الخ ، وفيه تأمل *
 وقد يؤيد ذلك بما روي أن كعب بن الأشرف . وأصحابه قالوا : يا محمد من يشهد بأنك رسول الله فنزلت
 (قل كفى) الآية إلا أن في القلب من صحة هذه الرواية شيئا لما أن السياق والسباق مع كفرة قريش فلا تغفل *
 وأياما كان فلان منافاة بين هذه الآية ، وقوله تعالى : (وادعوا شهداءكم من دون الله) بناء على أن المعنى
 لا تستشهدوا بالله تعالى ولا تقولوا الله تعالى يشهد أن ما ندعيه حق كما يقوله العاجز عن اقامة البينة اما لأن
 الشهيد ههنا بمعنى العالم والكلام وعد ووعد ، واما بمعنى المصدق بالمعجزات وليست الشهادة باحد المعنيين
 هناك . والباء في (بالله) زائدة والاسم الجليل فاعل (كفى) ، وقال الزجاج : ان الباء دخلت لتضمن كفى معنى
 اكتب فالباء كما قال اللقاني معدية لازائدة ، قال ابن هشام في المغني : وهو من الحسن بمكان ويصححه قولهم :
 اتقى الله تعالى امرؤ فعل خيرا يشب عليه أي ليتق بدليل جزم يشب ويوجه قولهم : كفى بهند بترك التاء

فان احتج بالفصل فهو مجوز لا موجب بدليل وما تسقط من ورقة فان عورض بأحسن بهند فالتاء لا تلحق صيغ الأمر وإن كان معناها الخبر اه *

وتعقب ذلك الشيخ يس الحمصي في حواشيه على النصريح فقال : أقول تفسير (كفى) على هذا القول باكتف غير صحيح اذ فاعل (كفى) حينئذ ضمير المخاطب ، و (كفى) ماض وهو لا يرفع ضمير المخاطب المستترا ه وفيه بعد بحث لا يخفى على المتأمل *

وظن بعض الناس أن (كفى) على هذا القول اسم فعل أمر يخاطب به المفرد المذكور وغيره نحو حي في حي على الصلاة فالمعنى هنا اكتبوا بالله ، وأنت تعلم ان هذا بعيد الإرادة من كلام الزجاج ويأباه كلام ابن هشام ، وقال ابن السراج : الفاعل ضمير الاكتفاء ، قال ابن هشام : وصحة قوله موقوفة على جواز تعلق الجار بضمير المصدر وهو قول الفارسي . والرماني أجازوا مروى يزيد حسن وهو بعرو قبيح ، وأجاز الكوفيون اعماله في الظرف وغيره ، ومنع جمهور البصريين اعماله مطلقا اه . وتعقب ذلك ابن الصانع فقال : لا نسلم توقف الصحة على ذلك لجواز أن تكون الباء للحال ، وعليه يكون المعنى (كفى) هو أى الاكتفاء حال كونه ملتبسا بالله تعالى ، ولا يخفى انه مالم يبطل هذا القول لا يتم ما ادعاه ابن هشام من أن ترك التاء في كفى بهند يوجب كون كفى مضمنا معنى اكتب فتدبر ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ﴾ قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما : أى بغير الله عز وجل وهو شامل لنحو عيسى والملائكة عليهم السلام . والباطل في الحقيقة عبادتهم وليس الباطل هنا مثله في قول حسان : أكلت شئ ما خلا الله باطل ، وقال مقاتل : أى بعبادة الشيطان ، وقيل : أى بالصنم ﴿وَكَفَرُوا بِاللَّهِ﴾ مع تعاضد موجبات الايمان به عز وجل ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ٥٢﴾ المغبونون في صفقتهم حيث اشتروا الكفر بالايمان فاستوجبوا العقاب يوم الحساب ، وفي الكلام على ما قيل : استعارة مكنية شبه استبدال الكفر بالايمان المستلزم للعقاب باشتراء مستلزم للخسران ، وفي الخسران استعارة تخيلية هي قرينتها لأن الخسران متعارف في التجارات ، وهذا الكلام ورد مورد الانصاف حيث لم يصرح بأنهم المؤمنون بالباطل الكافرون بالله عز وجل بل ابرزه في معرض العموم ليهجم به التأمل على المطلوب فهو كقوله تعالى : (انا أو اياكم لعلى هدى او فى ضلال مبين) وكقول حسان : * فشرطاً لخيرنا الفداء * وهذا من قبيل المجادلة بالتى هي أحسن ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ﴾ أى ويستعجلك كفار قريش ﴿بِالْعَذَابِ﴾ على طريقة الاستهزاء والتعجيز والتكذيب به بقولهم : (متى هذا الوعد) وقولهم : أمطر علينا حجارة أو انتناب عذاب ونحو ذلك ﴿وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ قد ضربه الله تعالى لعذابهم وسماه وأثبتته في اللوح ﴿لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ﴾ المعين لهم حسبما استعجلوا به ، وقال ابن جبير : المراد بالاجل يوم القيامة لما روى أنه تعالى وعد رسوله ﷺ ان لا يعذب قومه بعذاب الاستئصال وأن يؤخر عذابهم الى يوم القيامة ، وقال ابن سلام : المراد به أجل ما بين النفختين ، وقيل : يوم بدر ، وقيل : وقت فنائهم باسجالهم ، وفيه بعد ظاهر لما أنهم ما كانوا يوعدون بفنائهم الطبيعي ولا كانوا يستعجلون به ﴿وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ﴾ جملة مستأنفة مبينة لما أشير اليه في الجملة السابقة

يجىء العذاب عند حلول الأجل ، أى وبالله تعالى (ليأتينهم) العذاب الذى عين لهم عند حلول الاحكام

أى فجأة (وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ٥٣) أى باتيانه ، ولعل المراد باتيانه كذلك أنه لا يكون بطريق التمجيل عند استعجالهم والاجابة الى مسؤولهم فان ذلك اتيان برأيهم وشعورهم لا أنه يأتيهم وهم قارون آمنون لا يحظرونه بالبال كدأب بعض العقوبات النازلة على بعض الامم بيانا وهم نائمون أو ضحى وهم يلعبون لما ان اتيان عذاب الآخرة وعذاب يوم بدر ليس من هذا القبيل قاله بعضهم ، وقال آخرون : اتيانه كذلك من حيث انه غير متوقع لهم واتيان عذاب الآخرة ونحوه كذلك لانكارهم البعث ، وكذا عذاب القبر أو اعتقادهم شفاعاة آلهتهم لهم في دفع العذاب عنهم ، وكذا اتيان عذاب يوم بدر لانهم لغروهم كانوا لا يتوقعون غلبة المسلمين ولا تخطر لهم ببال على ما بين في السير .

(يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ٥٤) استئناف مسوق لغاية تجهيلهم وركاكة رأيهم وهو ظاهر في أن ما استعجلوه عذاب الآخرة ، وجملة (ان جهنم) الخ في موضع الحال أى يستعجلونك بالعذاب والحال ان محل العذاب الذى لا عذاب فوق محيط بهم كأنه قيل : يستعجلونك بالعذاب وان العذاب لمحيط بهم أى سيحيط بهم على ارادة المستقبل من اسم الفاعل ، أو كالحيط بهم الآن لاحاطة الكفر والمعاصى الموجبة اياهم على أن في الكلام تشبيها بليغا أو استعارة أو مجازا مرسلا أو تجوزا في الاسناد ، وقيل : إن الكفر والمعاصى هى النار في الحقيقة لكنها ظهرت في هذه النشأة بهذه الصورة ، والمراد بالكافرين المستعجلون ، ووضع الظاهر موضع الضمير للشعار بعله الحكم أو جنس الكفرة وهم داخلون فيه دخولا اوليا (يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ) ظرف لمضمر قد طوى ذكره ايدانا بغاية كثرتة وفظاعته كأنه قيل : يوم يأتيهم ويحلبهم العذاب الذى أشير اليه باحاطة جهنم بهم يكون من الاحوال والاهوال ما لا يفى به المقال ، وقيل : ظرف لمحيطه على معنى وان جهنم ستحيط بالكافرين يوم ينشاهم العذاب (مِنْ قَوْفِهِمْ وَمَنْ تَحْتَ أَرْجُلِهِمْ) أى من جميع جهاتهم فما ذكر للتعميم كما في الغدو والاصال ، قيل : وذكر الارجل للدلالة على أنهم لا يقرون ولا يجلسون وذلك أشد العذاب (وَيَقُولُ) أى الله عز وجل ، وقيل : الملك الموكل بهم .

وقرأ ابن كثير . وابن عامر . والبصريون (ونقول) بنون العظمة وهو ظاهر في أن القائل هو الله تعالى .
وقرأ أبو البرهسم (وتقول) بالتاء على أن القائل جهنم ، ونسب القول اليها هنا كما نسب في قوله تعالى :
(وتقول هل من مزيد) وقرأ ابن مسعود . وابن أبي عملة (ويقال) مبني للدفعول (ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ٥٥)
أى جزاء ما كنتم تعملونه في الدنيا على الاستمرار من السيئات التى من جملتها الاستعجال بالعذاب .

(يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإَيَّيَّ فَاعْبُدُون ٥٦) نزلت على ماروى عن مقاتل . والكلبي في المستضعفين من المؤمنين بمكة أمروا بالهجرة عنها وعلى هذا أكثر المفسرين ، وعمم بعضهم الحكم في كل من لا يتمكن من اقامة أمور الدين كما ينبغى في أرض لممانمة من جهة الكفرة أو غيرهم فقال : تلزمه الهجرة الى أرض يتمكن فيها من ذلك ، وروى هذا عن ابن جبير . وعطاء . ومجاهد . وذاك بن أنس ، وقال مطرف بن الشخير : إن الآية عدة منه تعالى بسعة الرزق في جميع الأرض ، وعلى القولين فالمراد بالأرض

الارض المعروفة ، وعن الجبائي أن الآية عدة منه عز وجل بادخال الجنة لمن أخلص له سبحانه العبادة وفسر الارض بأرض الجنة ، والمعمول عليه ماتقدم ، والفاء في (فايأى) فاء التسبب عن قوله تعالى : (ان أرضى واسعة) كما تقول : إن زيدا أخوك فأكرمه وكذلك لو قلت : انه أخوك فان أمكنك فأكرمه ، و(ايأى) معمول لفعل محذوف يفسره المذكور ، ولا يجوز أن يكون معمولاً له لاشتغاله بضميره وذلك المحذوف جزاء لشرط حذف وعوض عنه هذا المعمول ، والفاء في (فاعبدون) هي الفاء الواقعة في الجزاء الا أنه لما وجب حذفه جعل المفسر المؤكد له قائماً مقامه لفظاً وأدخل الفاء عليه اذ لا بد منها للدلالة على الجزاء ، ولا تدخل على معمول المحذوف أعني ايأى وان فرض خلوه عن فاء التمهضه عوضاً عن فعل الشرط فتعين الدخول على المفسر ؛ وأيضاً ليطابق المذكور المحذوف من كل وجه ، ولزم أن يقدر الفعل المحذوف العامل في (ايأى) مؤخراً للتلافوت التعويض عن فعل الشرط مع افادة ذلك معنى الاختصاص والاختصاص ، فالمعنى إن أرضى واسعة فان لم تخلصوا الى العبادة في أرض فأخلصوها لي في غيرها ، وجعل الشرط إن لم تخلصوا لدلالة الجواب المذكور عليه ، ولا منع من ان تكون الفاء الاولى واقعة في جواب شرط آخر ترشيحاً للسببية على معنى ان أرضى واسعة واذا كان كذلك فان لم تخلصوا الى الخ ، وقيل . الفاء الاولى جواب شرط مقدر وأما الثانية فتكرير ليوافق المفسر المفسر ، فيقال حينئذ : المعنى إن أرضى واسعة ان لم تخلصوا الى العبادة في أرض فأخلصوها لي في غيرها ، وتكون جملة الشرط المقدرة أعني إن لم تخلصوا الخ مستأنفة عريية عن الفاء ، وما تقدم أبعد مغزى . وجعل بعض المحققين الفاء الثانية لعطف ما بعدها على المقدر العامل في (ايأى) قصداً لنحو الاستيعاب كما في خذ الاحسن فالاحسن . وتعقب بأنه حيث لا يصلح المذكور مفسراً لعدم جواز تخلل العاطف بين مفسر ومفسر البتة ، وأما ما ذكره الامام السكاكي في قوله تعالى : (فايأى فارهبون) من أن الفاء عاطفة والتقدير فايأى ارهبوا فارهبون فانه أراد به أنها في الاصل كذلك لا في الحال على ما حققه صاحب الكشف ، هذا وقد أطلوا الكلام في هذا المقام وقد ذكرنا نبذة منه في أوائل تفسير سورة البقرة فراجع مع ما هنا وتأمل والله تعالى الهادي الى سواء السبيل ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ٥٧ ﴾ جملة مستأنفة جئ بها حثاً على اخلاص العبادة والهجرة لله تعالى حيث أفادت أن الدنيا ليست دار بقاء وان وراءها دار الجزاء أى كل نفس من النفوس واجدة مرارة الموت ومفارقة البدن البتة فلا بد أن تذوقوه ثم ترجعون الى حكمنا وجزائنا بحسب أعمالكم فمن كانت هذه عاقبته فلا بد له من التزود والاستعداد ، وفي قوله تعالى : (ذائقة الموت) استعارة لتشبيه الموت بأمر كربه الطعم مره ، والعدول عن تذوق الموت للدلالة على التحقق ، و(ثم) للتراخي الزماني أو الرتبي .

وقرأ أبو حيوة (ذائقة) بالتثنية (الموت) بالنصب ، وقرأ على كرم الله تعالى وجهه (ترجعون) مبنياً للماعل ، وروى عاصم (يرجعون) بياء الغيبة ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنِّي أَنَّهُمْ ﴾ أى لننزلهم على وجه الإقامة ، وجملة القسم وجوابه خبر المبتدأ أعني (الذين) ورد به وبأمثاله على ثعلب المانع من وقوع جملة القسم والمقسم عليه خبراً للببتة ، وقوله تعالى : ﴿ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا ﴾ أى علالي وقصوراً جليلة لا قصور فيها ، وهى على ما روى عن ابن عباس من الدر والزبرجد والياقوت ، مفعول ثانٍ للتبوتة .

وقرأ على كرم الله تعالى وجهه . وعبد الله . والربيع بن خيثم . وابن وثاب . وطلحة . وزيد بن علي . وحمة . والسكائي (لشوينهم) بالناء المثلثة الساكنة بعد النون وابدال الهمزة ياء من الثواء بمعنى الإقامة فانتصاب (غرفا) حيثئذ اما باجرانه مجرى لنزلهم فهو مفعول به له أو بنزع الخافض على أن أصله بغرف فلما حذف الجار انتصب أو على أنه ظرف والظرف المكناني إذا كان محدودا كالدار والغرفة لا يجوز نصبه على الظرفية إلا أنه أجرى هنا مجرى المبهم توسعا كما في قوله تعالى (لا تعدن لهم صراطك المستقيم) على ما فصل في النحو . وروى عن ابن عامر إنه قرأ (غرفا) بضم الراء (تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ) صفة لغرفا (خالد بن فيها) أي في الغرف، وقيل: في الجنة (نَعَمْ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ٥٨) أي الأعمال الصالحة والمخصوص بالمدح محذوف ثقة بدلالة ما قبله عليه أي نعم أجرى العاملين الغرف أو أجرهم، ويجوز كون التمييز محذوفا أي نعم أجر أجر العاملين . وقرأ ابن وثاب (فنعم) بفاء الترتيب (الَّذِينَ صَبَرُوا) صفة للعاملين أو خبر مبتدأ محذوف أو نصب على المدح أي صبروا على أذية المشركين وشدائد المهاجرة وغير ذلك من المحن والمشاق (وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ٥٩) أي ولم يتوكلوا فيما يأتون ويذرون إلا على الله تعالى .

(وَكَايْنٌ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا) لما روى أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أمر المؤمنين الذين كانوا بمكة بالمهاجرة إلى المدينة قالوا: كيف نقدم بلدة ليس لنا فيها معيشة؟ فنزلت، أي ولم من دابة لا تطيق حمل رزقها لضعفها أو لاتدخره وإنما تصبح ولا معيشة عندها . عن ابن عيينة ليس شيء يخبأ إلا الإنسان والنملة والفأرة، وعن ابن عباس لا يدخر إلا الآدمي والنمل والفأرة والعقق ويقال: للعقق مخبأ إلا أنه ينسأها، وعن بعضهم رأيت البلبل يحتكر في حضنيه والظاهر عدم صحته، وذكر لي بعضهم أن أغلب الكوامن من الطير يدخر والله تعالى أعلم بصحته .

(اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ) ثم إنها مع ضعفها وتوكلها وإياكم مع قوتكم واجتهادكم سواء في أنه لا يرزقها وإياكم إلا الله تعالى لأن رزق الكل بأسباب هو عز وجل المسبب لها وحده فلا تخافوا على معاشكم بالمهاجرة ولما كان المراد إزالة ما في أوهامهم من الهجرة على أبلغ وجه قيل: (يرزقها وإياكم) دون يرزقكم وإياها (وَهُوَ السَّمِيعُ) البالغ في السمع فيسمع قولكم هذا (الْعَالِمُ ٦٠) البالغ في العلم فيعلم ما انطوت عليه ضمائركم (وَوَلَّيْنِ سَأَلْتَهُنَّ) أي أهل مكة (مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لِيَقُولَنَّ اللَّهُ) إذ لا سبيل لهم إلى إنكاره ولا التردد فيه، والاسم الجليل مرفوع على الابتداء والخبر محذوف لدلالة السؤال عليه أو على الفاعلية لفعل محذوف لذلك أيضا (فَإِنَّ يَوْفَكُمْ ٦١) إنكار واستبعاد من جهته تعالى أتركهم العمل بموجبه، والقاء للترتيب أو واقعة في جواب شرط مقدر أي إذا كان الأمر كذلك فكيف يصرفون عن الإقرار بتفرده عز وجل في الألوهية مع إقرارهم بتفرده سبحانه فيما ذكر من الخلق والتسخير . وقد رعبهم الشرط فانصرفهم الهوى والشيطان لمكان بناء (يَوْفَكُمْ) للفعول، ولعل ما ذكرناه أولى . (اللَّهُ يَنْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ) أن يبسطه له لا غيره (مَنْ عِبَادَهُ وَيَقْدِرُ لَهُ) أي يضيق عليه، والضمير

عائد على (من يشاء) الذي يبسط له الرزق أى عائد عليه مع ملاحظة متعلقه فيكون المعنى أنه تعالى شأنه يوسع على شخص واحد رزقه تارة ويضيقه عليه أخرى ، والواو لمطلق الجمع فقد يتقدم التضييق على التوسيع أو عائد على (من يشاء) بقطع النظر عن متعلقه فالمراد من يشاء آخر غير المذكور فهو نظير عندى درهم ونصفه أى نصف درهم آخر ، وهذا قريب من الاستخدام ، فالمعنى أنه تعالى شأنه يوسع على بعض الناس ويضيّق على بعض آخر ، وقرأ علقمة (ويقدر) بضم الياء وفتح القاف وشد الدال ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ٦٢﴾ فيعلم أن كلا من البسط والقدر فى أى وقت يوافق الحكمة والمصاحبة فيفعل كلا منهما فى وقته أو فيعلم من يليق ببسط الرزق فيبسطه له ومن يليق بقدره له فيقدره له ، وهذه الآية أعنى قوله تعالى : (الله يبسط) الخ تكميل لمعنى قوله سبحانه : (الله يرزقها وإياكم) لأن الأول كلام فى المرزوق وعمومه وهذا كلام فى الرزق وبسطه وقته ، وقوله سبحانه : (ولئن سألتهم) الخ معترض لتوكيد معنى الآيتين وتعريض بأن الذين اعتمدتم عليهم فى الرزق مقرون بقدرتنا وبقوتنا كقوله تعالى : (إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين) قاله العلامة الطيبي *
وقال صاحب الكشف قدس سره : اعترض ليفيد أن الخالق هو الرزاق وإن من أفاض ابتداء وأوجد أولى أن يقدر على الإبقاء وأكد به ماضى فى قوله عز وجل : (وعلى ربهم يتوكلون) *

﴿وَلئن سألْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ معترفين بأنه عز وجل الموجد للممكنات بأسرها أصولها وفرعها ثم إنهم يشركون به سبحانه بعض مخلوقاته الذى لا يكاد يتوهم منه القدرة على شيء ما أصلاً ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ على إظهار الحاجة واعترافهم بما يلزمهم ، وقيل : حمده عليه الصلاة والسلام على العصمة بما هم عليه من الضلال حيث أشركوا مع اعترافهم بأن أصول النعم وفروعها منه جل جلاله فيكون كالحمد عند رؤية المبتلى ، وقيل : يجوز أن يكون حمداً على هذا وذاك ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ٦٣﴾ ما يقولون وما فيه من الدلالة على بطلان الشرك وصحة التوحيد أو لا يعقلون شيئاً من الأشياء لذلك لا يعملون بمقتضى قولهم هذا فيشركون به سبحانه أحسن مخلوقاته ، فبل : إضراب عن جهلهم الخاص فى الاتيان بما هو حجة عليهم إلى أن ذلك لأنهم مسلوبو العقول فلا يبعد عنهم مثله ، وقوله تعالى : ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ معترض وجعله الزمخشري فى سورة لقمان الزاماً وتقريراً لاستحقاقه تعالى العبادة ، وقيل : (لا يعقلون) ما تريد بتحميدك عند مقالهم ذلك ، ولم يرتضه بعض المحققين لحفائه وقلة جدواه وتكلف توجيه الإضراب فيه *

﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ إشارة تحقير وكيف لا والدنيا لا تزن عند الله تعالى جناح بعوضة ، فقد أخرج الترمذى عن سهل بن سعد قال : «قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لو كانت الدنيا تعدل عند الله تعالى جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء» *

وقال بعض العارفين : الدنيا أحقر من ذراع خنزير ميت بال عليها طيب يد مجنوم ، ويعلم بما ذكر حقارة ما فيها من الحياة بالطريق الأولى ﴿إِلَّا هُوَ وَلَعِبَ﴾ أى إلا كما يلعب به الصبيان يجتمعون عليه ويتجهجون به ساعة ثم يفرقون عنه ، وهذا من التشبيه البايغ ﴿وَلَا الدَّارُ الْآخِرَةُ لَهِيَ الْحَيَوَانُ﴾ أى لهى دار الحياة الحقيقية إذ لا يعرض الموت والفناء لمن فيها أو هى ذاتها حياة للبالغة ، و(الحيوان) مصدر حى سمي به ذو الحياة فى غير

هذا المحل ، وأصله حييان فقلبت الياء الثانية واوا على خلاف القياس فلامه ياء . وإلى ذلك ذهب سيويوه •
وقيل : إن لآمه وار نظراً إلى ظاهر الكلمة وإلى حياة علم رجل ، ولا حاجة على كونه ياء في حى لأن
الواو في مثله تبدل ياء لكسر ما قبلها نحو شقى من الشقرة ، وهو أبلغ من الحياة لما في بناء فعلان من معنى
الحركة والاضطراب اللازم للحياة ولذلك اختير عليها في هذا المقام المقتضى للبالغنة وقد علمتها في وصف
الحياة الدنيا المقابلة للدار الآخرة ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ٦٤﴾ شرط جوابه محذوف أى لو كانوا يعلمون لما
ماثروا عليها الدنيا التى أصلها عدم الحياة ، ثم ما يحدث فيها من الحياة فيها عارضة سريعة الزوال وشيكة الاضمحلال
وكون (لو) للتمنى بعيد ﴿فَإِذَا رَكَّبُوا فِي الْفُلْكِ﴾ متصل بما دل عليه شرح حالهم ، والركوب الاستعلاء
على الشئ المتحرك وهو متعد بنفسه كما في (لتركبوها) واستعماله ههنا وفي أمثاله نفي للايدان بأن المركوب في
نفسه من قبيل الأمكنة وحركته قسرية غير ارادية ، والفاء للتعقب وفي الكلام معنى الغاية فكأنه قيل : هم مصروفون
عن توحيد الله تعالى مع اقرارهم بما يقتضيه لاهون بما هو سريع الزوال ذاهلون عن الحياة الابدية حتى اذا
ركبوا في الفلك ولقوا الشدائد ﴿دَعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ أى كائنين في صورة من أخلص دينه وملته أو
طاعته من المؤمنين حيث لا يذكرون الا الله تعالى ولا يدعون سواه سبحانه لعلمهم بأنه لا يكشف الشدائد
الا هو عز وجل ، وفيه تمك به سواء أريد بالدين الملة أو الطاعة اما على الاول فظاهر ، وأما على الثانى فلانهم
لا يستمرون على هذه الحال فهى قبيحة باعتبار المآل ﴿فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ٦٥﴾ أى فاجزوا
المعاودة الى الشرك ولم يتأخروا عنها وولاقتا •

﴿لَيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلَيَتَّعَبُوا﴾ الظاهر أن اللام في الموضمين لام نى أى يشركون ليكونوا كافرين
بما آتيناهم من نعمة النجاة بسبب شركهم وليتعمتوا باجتماعهم على عبادة الاصنام وتوادم عليها فالشرك سبب
لهذا الكفران ، وأدخلت لام نى على مسيبيه لجعله كالغرض لهم منه فهى لام العاقبة فى الحقيقة ، وقيل : اللام
فيهما لام الامر والامر بالكفران والتمتع مجاز في التخلية والخذلان والتهديد كما تقول عند الغضب على من
يخالئك : افعل ما شئت ، ويؤيده قراءة ابن كثير . والاعمش . وحمة . والكسائى (وليتعمتوا) يسكون اللام
فان لام نى لا تسكن ، واذا كانت الثانية لذلك لام الامر فالاولى مثلها ليتضح العطف ، وتخالفاهما محوج الى
التكلف بأن يكون المراد كما قال أبو حيان عطف كلام على كلام لا عطف فعل على فعل ، وقوله تعالى :
﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ٦٦﴾ أى عاقبة ذلك حين يعاقبون عليه يوم القيامة مؤيد للتهديد ﴿أولم يروا﴾
لم ينظروا ولم يشاهدوا ﴿إِنَّا جَعَلْنَا﴾ أى بلدكم ﴿حَرَمًا﴾ مكانا حرم فيه كثير مما ليس بمحرم في غيره
من المواضع ﴿ءامنّا﴾ أهله عما يسوهم من السبي والقتل على أن أمنه كناية عن أمن أهله أو على ان الاسناد
بجazy أو على ان في الكلام مضافا مقدرا ، وتخصيص أهل مكة وان أمن كل من فيه حتى الطيور والوحوش لأن
المقصود الامتنان عليهم ولأن ذلك مستمر في حقهم . واخرج جوير عن الضحاك عن ابن عباس أن أهل مكة
قالوا : يا محمد ما يمننا أن ندخل في دينك الامخافة أن يتخطفنا الناس لقلتنا والعرب أكثر منافى بلغهم انا قد
دخلنا في دينك اختطفنا فكنا أكلة رأس فأنزل الله تعالى : ﴿أولم يروا إِنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا﴾

﴿وَيَتَخَفُّ النَّاسُ مِنْ حَوْطِهِمْ﴾ يختلسون من حوْلهم قتلا وسبيا اذ كانت العرب حوله في تغاور وتناهب، والظاهر أن الجملة حالية بتقدير مبتدا أى وهم يتخطف الخ ﴿أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ﴾ أن أبعاد ظهور الحق الذى لا ريب فيه أو أبعاد هذه النعمة المكشوفة وغيرها بالصنم، وقيل: بالشيطان يؤمنون ﴿وَبَنِعْمَ اللَّهُ يَكْفُرُونَ ٦٧﴾ وهى المستوجبة للشكر حيث يشركون به تعالى غيره سبحانه، وتقديم الصلة فى الموضعين للاهتمام بها لأنها مصب الانكار أو للاختصاص على طريق المبالغة لأن الايمان اذا لم يكن خاصا لا يعتد به ولأن كفران غير نعمته عز وجل يجنب كفرانها لا يعد كفرانا •

وقرأ السلى . والحسن (تؤمنون وتكفرون) بناء الخطاب فيهما ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ بأن زعم أن له سبحانه شريكا وكونه كذبا على الله تعالى لانه فى حقه فهو كقولك : كذب على زيد اذا وصفه بما ليس فيه ﴿أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ﴾ يعنى الرسول أو الكتاب ﴿لَمَّا جَاءَهُ﴾ أى حين مجيئه اياه، وفيه تسفيه لهم حيث لم يتأملوا ولم يتوقفوا حين جاءهم بل سارعوا الى التكذيب أول ما سمعوه ﴿الَّذِينَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ٦٨﴾ أى ثواء واقامة لهم أو مكان يثوون فيه وقيمون، والكلام على كلا الوجهين تقرير لثوائهم فى جهنم لأن الاستفهام فيه معنى النفي وقد دخل على نفي ونفى النفي اثبات كما فى قول جرير :

الستم خير من ركب المطايا واندى العالمين بطون راح

أى ألا يستوجبون الثواء أو المكان الذى يثوى فيه فيها وقد افتروا مثل هذا الكذب على الله تعالى وكذبوا بالحق مثل هذا التكذيب أو انكار واستبعاد لاجترائهم على ما ذكر من الافتراء والتكذيب مع علمهم بحال الكفرة أى ألم يعلموا ان فى جهنم مَثْوًى للكافرين حتى اجترأوا هذه الجرأة، وجعلهم عالمين بذلك لوضوحه وظهوره فنزلوا منزلة العالم به، والتعريف فى (الكافرين) على الاول للعهد فالمراد بهم أولئك المحدث عنهم وهم أهل مكة، وأقيم الظاهر مقام الضمير لتعليل استيحابهم المَثْوًى، ولا ينافى كون ظاهره ان العلة افتراؤهم وتكذيبهم لانه لا يغيّره والتعليل يقبل التعدد، وعلى الثانى للجنس فالمراد مطلق جنس الكفرة ويدخل أولئك فيه دخولا أوليا برهانيا ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا﴾ فى شأننا ومن أجلنا ولوجهنا خالصا ففيه مضاف مقدر، وقيل : لاجابة الى التقدير بحمل الكلام على المبالغة بجعل ذات الله سبحانه مستقر للجهادة واطلقت الجهادة لتمام مجاهدة الاعادى الظاهرة والباطنة بأنواعهما ﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ سبل السير اليها والوصول الى جنباتها، والمراد نزيديهم هداية الى سبل الخير وتوفيقا لسلوكها فان الجهاد هداية أومرتب عليها، وقد قال تعالى : ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى﴾ وفى الحديث « من عمل بما علم ورثه الله تعالى علم ما لم يعلم » •

ومن الناس من أول (جاهدوا) بأرادوا الجهاد وأبقى (لنهديهم) على ظاهره، وقال السدى: المعنى والذين جاهدوا بآثبات على الايمان لنهديهم سبلنا الى الجنة، وقيل : المعنى والذين جاهدوا فى الغزو لنهديهم سبل الشهادة والمغفرة، وما ذكر أولا أولى، والموصول مبتدا وجملة القسم وجوابه خبره نظير ما مر من قوله : (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوتنهم من الجنة غرضا) •

(وَإِنَّ اللَّهَ) المتصف بجميع صفات الكمال الذي بلغت عظمته في القلوب ما بلغت (لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ٦٩) معية النصرة والمعونة وتقدم الجهاد المحتاج لها قرينة قوية على ارادة ذلك ، وقال العلامة الطيبي : إن قوله تعالى : (لمع المحسنين) قد طابق قوله سبحانه : (جاهدوا) لفظاً ومعنى ، أما اللفظ فمن حيث الاطلاق في المجاهدة والمعية ، وأما المعنى فالمجاهد للاعداء يفتقر الى ناصر ومعين ، ثم ان جملة قوله عز وجل : (ان الله لمع المحسنين) تذييل للآية مؤكدة بكلمتي التوكيد محلى باسم الذات ليؤذن بأن من جاهد بكليته وشرائره في ذاته جل وعلا تجل له الرب عز اسمه الجامع في صفة النصرة والاعانة تجلياً تاماً ، ثم ان هذه خاتمة شريفة للسورة لأنها مجاوبة لمفتتحها ناظرة الى فريدة قلاذتها (أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون لآمحة الى واسطة عقدها) (يا عبادي الذين آمنوا ان أرضي واسعة فإياي فاعبدون) وهي في نفسها جامعة فاذة اه * (وأل) في المحسنين يحتمل ان تكون للعهد فالمراد بالمحسنين الذين جاهدوا ، ووجه اقامة الظاهر مقام الضمير ظاهر والى ذلك ذهب الجمهور ، ويحتمل أن يكون للجنس فالمراد بهم مطلق جنس من أتى بالافعال الحسنة ويدخل أولئك دخولا أوليا برهانيا . وقد روى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه فسر (المحسنين) بالموحدين وفيه تأييد مالا احتمال الثاني والله تعالى أعلم *

(ومن باب الإشارة في الآيات) (أحسب الناس أن يتركوا) الآية قال ابن عطاء : ظن الخلق انهم يتركون مع دعاوى المحبة ولا يطالبون بحقائقها وهي صب البلاء على المحب وتلذذه بالبلاء الظاهر والباطن ، وهذا كما قال العارف ابن الفارض قدس سره :

وتعذيبكم عذب لدى وجوركم على بما يقضى الهوى لكم عدل

وذكروا ان المحبة والمحبة توأمان (وبالامتحان يكرم الرجل أو يهان) (ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أودى في الله جمل فتنة الناس كعذاب الله) إشارة إلى حال الكاذبين في دعوى المحبة وهم الذين يصرفون عنها بأذى الناس لهم (ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له اليه ترجعون) قال ابن عطاء : أى اطلبوا الرزق بالطاعة والاقبال على العبادة ، وقال سهل : اطلبوه في التوكل لا في المكسب فان طالب الرزق فيه سبيل العوام (وقال اني مهاجر إلى ربى) أى مهاجر من نفسى ومن السكون اليه عز وجل ، وقال ابن عطاء : أى راجع إلى ربى من جميع مالى وعلى ، والرجوع اليه عز وجل بالانفصال عما دونه سبحانه ، ولا يصح لاحد الرجوع اليه تعالى وهو متعلق بشئ من السكون بل لا بد أن ينفصل من الآكوان أجمع (وتأتون في ناديك المنكر) سئل الجنيد قدس سره عن هذه الآية فقال : كل شئ يجتمع الناس عليه إلا الذكر فهو منكر (مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت) أشار سبحانه وتعالى إلى من اعتمد على غير الله عز وجل في أسباب الدنيا والآخرة فهو منقطع عن مراده غير واصل اليه ، قال ابن عطاء : من اعتمد شيئاً سوى الله تعالى كان هلاكه في نفس ما اعتمد عليه ، ومن اتخذ سواه عز وجل ظهيراً قطع عن نفسه سبيل العصمة ورد إلى حوله وقوته * (وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون) فيه إشارة إلى أن دقائق المعارف لا يعرفها إلا أصحاب الأحوال العالمون به تعالى وبصفاته وسائر شؤنه سبحانه لأنهم علماء المنهج ، وذكر ان العالم على الحقيقة من

يحجزه علمه عن كل ما يبيحه العلم الظاهر ، وهذا هو المؤيد عقله بانوار العلم الدنيء ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر » ذكر ان حقيقة الصلاة حضور القلب بنعت الذكر والمراقبة بنعت الفكر فالذكر في الصلاة يطرد الغفلة التي هي الفحشاء والفكر يطرد الخواطر المذمومة وهي المنكر ، هذا في الصلاة وبعدها تنهى هي إذا كانت صلاة حقيقية وهي التي انكشف فيها لصاحبها جمال الجبروت وجلال الملكوت وقرت عيناه بمشاهدة أنوار الحق جل وعلا عن رؤية الأعمال والاعواض ، وقال جعفر الصادق رضى الله تعالى عنه : الصلاة إذا كانت مقبولة تنهى عن مطالعات الأعمال والاعواض (ولذكر الله أكبر) قال ابن عطاء : أى ذكر الله تعالى لكم أكبر من ذكركم له سبحانه لأن ذكره تعالى بلا علة وذكركم مشوب بالعلل والاماني والسؤال ، وأيضاً ذكره تعالى صفته وذكركم صفتكم ولا نسبة بين صفة الخالق جل شأنه وبين صفة المخلوق وأين التراب من رب الارباب » بل هو مايات بينات في صدور الذين أوتوا العلم ، فيه إشارة إلى أن عرائس حقائق القرآن لا تنكشف إلا لأرواح المقربين من العارفين والعلماء الربانيين لأنها أما كن أسرار الصفات وأوعية لطائف كشوف الذات ، قال الصادق على آباءه وعليه السلام : لقد تجلى الله تعالى في كتابه لعباده ولكن لا يبصرون » ياعبادي الذين آمنوا ان أرضي واسعة فايأى فاعبدون » قال سهل : إذا عمل بالمعاصي والبدع في أرض فاخرجوا منها إلى أرض المطيعين ، وكأن هذا لثلا تنعكس ظلمة معاصي العاصين على قلوب الطائنين فيكسلوا عن الطاعة ، وذكروا أن سفر المريدي سبب للتخلي والتجلي ، واليه الإشارة بما أخرج الطبراني والقضاعي ، والشيرازي في الالقاب ، والخطيب ، وابن الجار ، والبيهقي عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما قال : « قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : سافروا تصحوا وتغنموا كل نفس ذائقة الموت فلا يمنعكم خوف الموت من السفر (و كأي من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم) فلا يمنعكم عنه فقد الزاد والعجز عن حمله » والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا » قال ابن عطاء : أى الذين جاهدوا في رضائنا لنهدينهم إلى محل الرضا ، والمجاهدة كما قال : الافتقار الى الله تعالى بالانقطاع عن كل ما سواه ، وقال بعضهم : أى الذين شغلوا ظواهرهم بالوظائف لنوصلن أسرارهم الى اللطائف ، وقيل : أى الذين جاهدوا نفوسهم لاجلنا وطلبنا لنهدينهم سبل المعرفة بنا والوصول إلينا ، ومن عرف الله تعالى عرف كل شيء ومن وصل إليه هان عنده كل شيء ، كان عبد الله بن المبارك يقول : من اعتاصت عليه مسئلة فليسأل أهل الثغور عنها القولة تعالى : (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) وجهاد النفس هو الجهاد الاكبر نسأل الله تعالى التوفيق لما يحب ويرضى والحفظ التام من كل شر بحرمه حبيب سيد البشر صلى الله تعالى عليه وسلم .

﴿ سورة الروم ٣٠ ﴾

مكية كما روى عن ابن عباس . وابن الزبير رضى الله تعالى عنهم بل قال ابن عطية . وغيره : لا خلاف في مكيتها ولم يستثنوا منها شيئاً ، وقال الحسن : هي مكية الا قوله تعالى : (فسبحان الله حين تمسون) الآية وهو خلاف مذهب الجمهور والتفسير المرضي كما سيأتى ان شاء الله تعالى بيانه ، وآياتها ستون وعند بعض تسع وخمسون ، ووجه اتصالها بالسورة السابقة على ما قاله الجلال السيوطي انها ختمت بقوله تعالى : (والذين